الوالد (رحمه الله)

في بضع كلمات متواضعات

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت – (283) 2024م

عنوان الكتاب: الوالد (رحمه الله) في بضع كلمات متواضعات.

المؤلف: د. عبدالله عبدالرحمن عبدالله بكير.

مقاس الكتاب : 14.5 × 21 سم

الإخراج الفني

حسن أحمد بلجعد

الطبعة الأولى

1445هـ – 2024م

الوالد (رحمه الله)

في بضع كلمات متواضعات

د. عبدالله عبدالرحمن عبدالله بكير


بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الصادق الأمين المرسول رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم أجمعين.

ثم أما بعد:

فلقد عَنَّتْ لي ونحن نعيش هذه الأيام والليالي المباركة من شهر رمضان الكريم فكرة جمع شتات بعض ما كتبته من كلمات متواضعات عن سيدي الوالد –رحمة الله عليه– في هيئة مقدمات لبعض ما ألف من كتب أو بعض مقدمات لما ألفه آخرون من كتب حوله؛ إضافة إلى بعض السطور التي دونتها كخواطر وذكريات في زمن السنوات العجاف. قاصداً من وراء كل ذلك وجه الله سبحانه وتعالى واحسانه ورضوانه في إطار البر بالوالدين والاحسان إليهما مصداقًا لقوله جلت قدرته وعظمته ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ الإسراء: ٢٣

ومصداقًا لقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم **"إذا مات الرجل انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"** الأمر الذي أكد عليه الوالد –رحمه الله– في رسالته لي عام ١٩٨٦م عندما صدر كتاب (**شرح عماد الرضا ببيان آداب القضاء**).

القضاء في ثلث قرن ورجل المرحلة القضائية:

و لقد كانت أولى محاولاتي في الكتابة عن مؤلفات الوالد – رحمه الله وغفر له – تقديمي لكتاب (**القضاء في حضرموت في ثلث قرن**) وكان ذلك في جماد الثاني من عام ١٤١٨ هجريه الموافق لشهر اكتوبر من عام ١٩٩٧ ميلادية.

هذه المقدمة لم تكن في الحسبان من قبلي إطلاقًا، غير أن مراجعتي لمسودة الكتاب بناءً على طلب الوالد – رحمة الله عليه – وملاحظاتي الخاصة حولها واطلاعه عليها وإصراره على إعادة صياغتها في شكل مقدمة للكتاب كانت تلك المقدمة .

وكما سبق أن قلت في تلك المقدمة أن طلب المراجعة من قبل الوالد –رحمه الله– لي لم تكن بهدف التصحيح أو المراجعة **"لأن الكتاب**

كامل من كل جوانبه لا يحتاج إلى تصحيح أو مراجعة" ولكنها فرصة من قبل الوالد –رحمة الله عليه – خصني بها **"للاطلاع على أثر علمي من آثاره، يؤرخ لمرحلة معينه من تاريخ القضاء بحضرموت - ويؤرخ أيضاً لرجل مرحلة"**.

إضافة الى ذلك فان الوالد كان يدرك تماماً المعزة الخاصة والتقدير الجم والحب الكبير الذي أكنهُ لوالده فضيله الشيخ القاضي عبدالله بن عوض بكير –رحمه الله وغفر له– فكان لابد ان تعزز هذه المكانة الشخصية العاطفية الذاتية لدي بجانب آخر في شخصية صاحب الفضيلة وهي المكانة العلمية والاجتماعية والانسانية لهذه الشخصية الفاضلة الفذّه. **"بل انني أجزم أنه أراد أن يكرمني بالمشاركة في انجاز هذا الأثر، كونه يؤرخ لجانب من شخصية إنسان عظيم غمرني بحبه و حنانه وعطفه"**.

والوالد –عليه رحمة الله – في تربيته لأبنائه لم يكن يتبنى الطرق والأساليب النظرية التقليدية فقط وإنما كان يلجأ دائماً إلى النهج العملي كما تبين لي في معاملته لأبنائه. ولقد أشرت الى هذه النقطة في أكثر من مناسبة في مقالاتي الأخرى.

المدخل إضافة نوعية متميزة للمكتبة الفقهية الشرعية:

وفي الطبعة الثانية لكتاب (**المدخل الى المسائل المختارة لمحاكم حضرموت**) والذي أختير لـه عنـوان (**نمـاذج من فقـه القضـاء وفقـه الفتـوى بحضـرموت**) والذي تمت طباعته في عام ٢٠٠٢ ميلادية ، أي بعد مرور ثمانية وثلاثين عامًا على الطبعة الأولى، حرص الوالد – عليه رحمـة الله– **"عدم الزيادة أو التعديل فيها"**. بل أن الكتـاب لـم يُطبـع مـن جديـد وإنمـا تـم تصـويره على هيئته السابقة وبطباعة ستينيات القرن العشرين.

خصني الوالد – رحمه الله – أن اشـارك بكلمـة تقـديم لهـذه الطبعـة الثانية قلت فيهـا إن هـذا الكتـاب الـذي سبق وأن طبـع في عـام ١٩٦٤م **"قد شكل إضافة نوعية متميزة للمكتبة الفقهية الشرعية بحضرموت في ذلك الوقت"** كما أكدت فيها على مقدمة الوالد للطبعة الثانية والتي أشار إلى أن إعادة طباعة كتاب (المدخل) يأتي في سياق **" تراث اليمن وموروثه الحضاري بالذات، وتاريخه الاجتماعي والعلـمي، و إبداعـه الفكري وغير الفكري - العلمي منه والنظري، والديني وغير الديني"**.

كما لـم يستطع الوالـد - عليـه رحمـة الله - تجـاوز ذكـرى التجربـة المُرّة التـي عـانى قسـوتها وغلظتهـا خـلال عقـد السبعينيات مـن القـرن العشرين بقولـه "**هذا ولقد كان لنا عهد عشناه وتناوشتنا فيه أيـدي القسوة والغلظة كما طعمنـا فيـه المـرارة في السـجون والمعـتقلات وخارج السجون والمعتقلات و ما زلنا نعيش مالم نتوقعه**".

رسالة الوالد معانٍ ودلالات:

تأتي بعد ذلك رسالة الوالد التي أرفَقَها مع نسختين من كتاب (**شرح عماد الرضا ببيان آداب القضاء**) الذي اجتهد فيه الوالـد اجتهـاداً علميـًا غير عادي في تحقيقه وتصـحيحه والتعليـق علـى حواشـيه وفـق منهجيـة علميـة دقيقـة ورصـينة ؛ وكـان ذلـك في العـام الهجـري ١٤٠٦ الموافـق للعام الميلادي ١٩٨٦م.

هذه الرسالة التي تم نشرها في مقال لي بعنـوان (**رسـالة الوالـد معـان ودلالات**) في مجلة حضرموت العدد (٦ و ٧ ينـاير - ديسـمبر ٢٠١٢م).

تضمن المقال تحليل لبعض معانيها ودلالاتها.. وفيها:

١. مواجهة الظروف القاسية بالغوص في أعماق بحور العلم والمعرفة والتي عانى فيها الوالد - رحمه الله - متنقلاً من معتقل إلى آخر ومن سجن إلى آخر، ومن زنزانة إلى أخرى طوال عقد كامل من الزمن دون مبرر مقبول أو مسوغ قانوني. ولقد بدأت فكرة إنجاز هذا الجهد العلمي المتميز منذ عام ١٩٦٨م ولم يرَ النور إلّا عند طباعته ونشره في عام ١٤٠٦ هجريه الموافق للعام الميلادي ١٩٨٦م أي بعد ما يقارب من ثمانية عشر عامًا.
٢. جهد علمي متميز يضاف الى جهود علمية سابقة .
٣. أن يكون هذا الجهد المتميز خالصًا لوجه الله سبحانه وتعالى.
٤. التأكيد على فضل والده العلامة القاضي الشيخ عبدالله بن عوض بكير وتشجيعه له في استكمال تحقيق هذا الكتاب .
٥. أن رسالة الوالد - رحمه الله - لي تشكل التفاتة خاصة أعتز بها حيث يوجه حديثه لي في رسالته بقوله: **"و أرجو أن تجد النسخة المرفقة بهذا الخطاب مكاناً لها في مكتبتك، و يقيني أنها لن تكون إلا كذلك ، بل ستكون من مفاخر مكتبتك - إن شاء الله"**.

أباً حنوناً ومربياً فاضلاً ومعلماً حكيماً:

وفي تقديمي لكتاب الدكتور فارس بن طالب العزاوي الذي ألفه تحت عنوان (**العلامة عبدالرحمن عبدالله بكير : الوجهة والمسار**) والذي تضمن محاور ثلاثة أساسية هي:

١. السيرة وملامح النشأة والتكوين العلمي.
٢. أبعاد التحمل المنهجي والأداء التنزيلي.
٣. المصنفات والمؤلفات.

فقد أفاض وأبدع المؤلف في تحليله لهذه المباحث الثلاثة، وبأسلوب علمي منهجي متميز. غير أنني وأنا أطلع على مسودته الأولى لفت انتباهي وأثار مشاعري علاقة المؤلف بالوالد – عليه رحمة الله – هذه العلاقة الأبوية وهذه اللمسات العاطفية التي تظهر بين الفينة والأخرى لتتجاوز السواتر الموضوعية جعلتني أقرر **"بأنها تعبر عن مستوى عالٍ من بر الولد لوالده، ومن إحسان الأبن لأبيه. إنها إلى فضيلة البر بالوالدين أقرب منها إلى مشاعر الوفاء والعرفان"**، هذه المشاعر أعادتني

إلى أيام الصبا والشباب حيث كان الوالـد **"أباً حنوناً عطوفاً، ومربيـاً فاضلاً ومعلماً حكيماً ونموذجاً مثالياً في حسن الخلق والسلوك "**.

رجل قضاء كما هو رجل دولة:

ثم تأتي مقدمتي لكتاب الأستاذ الدكتور زبـن بـن عزيـز خلـف العسـافي **(العلامة عبدالرحمن عبدالله بكير: مباحث في ثرائه العلمي والحياتي)**، لتؤكد أن هذا الكتاب قد إستقصى الكثير من خصـائص الوالـد العلميـة والحياتية وسجاياه الكريمة وتؤكد على مكانتـه كرجـل قضـاء كمـا هـو رجل دولة.

إذ لـم تكـن قـراءات الوالـد – رحمة الله عليه – و معارفه تقتصـر علـى علوم الفقه والقضاء الشرعي فقط ، بل كـان موسـوعيـًا في إطلاعـه علـى العلوم الانسانية المختلفة. فهو قـارئ في علـوم الفلسـفة قـديمها وحـديثها، العربي الاسـلامي منهـا والأجنبي. قـارئ موسـوعي في علـوم الاقتصـاد والسياسة وعلم الاجتماع **"مكنته هذه القراءات في العلوم الانسانية المختلفة من توسيع آفاقه ومداركه الفكرية والثقافية. وكان بحق عالماً وعلَماً من أعلام جيله وعصره ومرجعاً من مراجعه العلمية "**.

السنون العجاف ابتلاء وصبر واحتساب:

وفي خاطرة لي كتبتها في يونيو من عام ٢٠١٧م ضمنتها كتابي (**مرفأ الكلمة**) الصادر عام ٢٠٢٠ ميلادية تحت عنوان (**خواطر وذكريات في زمن السنوات العجاف**) لخصت فيها باقتضاب جزءاً من معاناة الوالد -رحمه الله- خلال العقد السابع من القرن العشرين، وما تعرض اليه من ظروف اعتقال واضطهاد ما كان لها أن تحدث لو لا أحقاد شخصية وضغائن وعقد نفسيه لدى بعض المتنفذين في السلطة آنذاك ، واجه كل تلك المعاناة بقوة إيمانه وصبره واحتساب ذلك مأجوراً عند الله سبحانه وتعالى.

وأخيراً فإن ما يضمه هذا الكتيب المتواضع بين دفتيه ما هي إلا بضع كلمات متواضعات، فضلت في هذه الأيام والليالي الرمضانية المباركة أن أدونها من باب الوفاء والبر لعلي أنال بها رضاء الله وإحسانه.

والله أسأل أن يغفر لنا وأن يرحمنا هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

عبدالله عبدالرحمن عبدالله بكير

غيل باوزير في:

الثامن من شهر رمضان المبارك عام ١٤٤٥هـ

الثامن عشر من شهر مارس ٢٠٢٤م

القضاء في حضرموت في ثلث قرن و رجل المرحلة القضائية

الثقة التي أولاني إياها سيدي الوالد الفاضل في تصحيح هذا الكتاب؛ وضعتني أمام مسؤولية كبيرة، خشيت ألَّا أكون أهلا لها؛ خاصة وأن موضوع الكتاب –كما هو واضح– يتعلق بالقضاء وتاريخه في حضرموت -الدولة القعيطية-؛ إلا أن هذه الثقة بالمقابل شجعتني على قبول المجازفة وخوض غمارها.

يضاف إلى ذلك أن الوجه الآخر لموضوع الكتاب هو: جانب من سيرة صاحب الفضيلة الشيخ: عبدالله بن عوض بكير –رحمه الله–، هذه الشخصية التي كانت وستظل مثالاً وأنموذجًا طيبًا وساميًا لكل أبنائه وأحفاده؛ بل وكل من تربى في كنفه، واغترف من نبع علمه، واستظل بدوحة أخلاقه ومناقبه من تلاميذه وزملائه.

لهذا وجدت نفسي أقبل الدخول في هذا الاختبار الصعب طائعًا مختاراً، وكيف لي أن أحجم أو أتردد وقد اعتبرته أمراً نافذا من الوالد – أطال الله في عمره، وأنعم عليه بالصحة– لا يقبل الرفض أو التأجيل.

كما كان لسلاسة الأسلوب وجميل العبارة دور مهم في مهمة التصحيح –وأكاد أقول القراءة–؛ لأن الكتاب كامل من كل جوانبه، لا يحتاج إلى تصحيح أو مراجعة؛ خاصة وأنه يخرج من بين يدي سيدي الوالد الحصيف في طرحه وتناوله لكل موضوع يطرقه، الدقيق في إعداد وإخراج أبحاثه وكتبه، إذ لم يبق أمامي سوى بعض الملاحظات الفنية البسيطة.

بل إنني اعترف للوالد بفضله وكرمه؛ إذ هيأ لي فرصة القراءة والاطلاع على أثر علمي من آثاره، يؤرخ لمرحلة معينة من تاريخ القضاء بحضرموت، ويؤرخ أيضًا لرجل مرحلة.

بل إنني أكاد أجزم أنه أراد أن يكرمني بالمشاركة في إنجاز هذا الأثر، كونه يؤرخ لجانب من شخصية إنسان عظيم غمرني بحبه وحنانه وعطفه.

فتاريخ القضاء بحضرموت خلال الفترة من عام: (١٣٥١هـ– ١٩٣٢م) حتى عام: (١٣٨٥هـ– ١٩٦٦م) يرتبط ارتباطًا صميميًا بحياة

صاحب الفضيلة الشيخ: عبدالله بن عوض بكير، وهي كما أشار الوالد في مقدمة هذ الكتاب بقوله: "**وحينما أردت أن أضع تقريراً، أو سَمِّهِ: بحثاً في تاريخ القضاء في هذه الفترة وجدتني أضع تقريراً عن سيدي الوالد، أو بحثاً عن عهد من عهود القضاء سايره مسايرة الظل للشخص**".

ولقد كانت هذه الفترة في عهد الدولة القعيطية بحضرموت بداية نشوء المؤسسات بصيغتها المبسطة؛ ومنها: المؤسسة القضائية الشرعية التي كان لفضيلة رئيس المجلس العالي للقضاء الدور الكبير والأساسي في وضع لبناتها الأولى، وترسيخ دعائمها وحمايتها والدفاع عنها من معاول التخريب؛ لذا فلا غرابة أن يأتي هذا البحث وهو يؤرخ عن القضاء ليؤرخ عن رجل القضاء الأول في تلك المرحلة.

والبحث بحد ذاته يشكل جهداً كبيراً ومتميزاً في تاريخ القضاء في حضرموت، ابتداء من عهد السلطان عمر بن عوض القعيطي، حتى عهد آخر سلاطين الدولة القعيطية السلطان غالب بن عوض القعيطي.

وربما كان عهد السلطان صالح بن غالب القعيطي في الفترة من: (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م) حتى: (١٣٧٥هـ-١٩٥٦م)، هي: فترة الازدهار

الفعلي لبدء نشوء المؤسسات، والعمل على تطويرها، ومنها: المؤسسة القضائية.

وهذا يدفع المرء إلى دعوة البعض ممن له باع في مجال الدراسة والبحث والتاريخ، ومن الذين عاصروا هذه المرحلة وواكبوها؛ أن يكتبوا عن جوانب أخرى ومؤسسات أخرى للدولة القعيطية؛ كنظام الإدارة مثلاً، وعن المؤسسة التربوية والتعليمية، والمؤسسة العسكرية والأمنية ونظمها، وعن مؤسسات خدمية أخرى، وعن موارد الدولة، وكيفية صياغة موازناتها السنوية، وغيرها من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة والتاريخ.

ومن خلال قراءتي واطلاعي لموضوعات الكتاب وجدت أنه يسلط الضوء على مجموعة من المعلومات والحقائق عن واقع القضاء الشرعي بحضرموت، الذي لم يأخذ شكله المؤسسي المستقل إلا في هذه الفترة، التي برز فيها صاحب الفضيلة المغفور له الشيخ: عبدالله بن عوض بكير قاضياً لمدينة المكلا، ثم رئيساً لمجلس القضاء العالي للدولة.

ويكتسب البحث أهميته التاريخية كونه يعيد القارئ من خلال السرد التاريخي الشيق، ويستفز فيه ذاكرته إلى فترة مهمة في تطور الحياة السياسية والاجتماعية والدستورية للبلد، فهو في الوقت الذي يؤرخ فيه للقضاء؛ فكأني به أيضًا يسلط الضوء بشكل أو بآخر على طبيعة النظام السياسي في تلك الفترة التي يفترض أن يتصدى لها أصحاب الفكر والقلم بالبحث والدراسة؛ إذ فيها تفتحت بعض الأفكار، ونضجت بعض المفاهيم، وتصادمت أو تصارعت بعض الرؤى الفكرية الفقهية والسياسية، وفيها بدأ تلاشي قيم ومعتقدات وتقاليد اجتماعية؛ لتحل محلها قيم وتقاليد اجتماعية جديدة.

وأعترف أن موضوع الكتاب قد عرفني على حقائق، وفتح مداركي على مفاهيم وقيم سامية في شخص رئيس مجلس القضاء العالي؛ وما كنت لأطلع عليها لولا هذا الكتاب، فإذا كنت قد عرفته في طفولتي وفي صباي وحتى في شبابي، ذلك الإنسان المليء قلبه حبًا وحنانا وعطفًا؛ فقد اكتشفت في ثنايا سطور هذا الكتاب رجلاً تجلت فيه العصامية وقوة الشخصية، وشجاعة وجسارة في قوله الحق ولو على نفسه،

وتعرفت على مزيد مما كنت أعرفه عن دماثة أخلاقه وتواضعه، مما أكسبه حب وتقدير واحترام الآخرين له.

لقد عرفني البحث عن عصامية هذا الرجل المزارع المكافح الذي خرج من بين أفراد أسرة ريفية فقيرة، ومن بين ثنايا الزرع وأشجار النخيل الباسقات، ومن بين شقوق وغبار التربة الطيبة المزروعة حبًا وعطاءً لمن يرعاها ويسقيها ويعطيها من جده وجهده وعرقه.

خرج في ظل واقع اجتماعي وعلمي محتكر ومحظور، تدفعه إرادته الحرة الخيرة، وتدفعه عصاميته المشهود له بها منذ الطفولة، ويدفعه حبه وطموحه للتعلم ليفتح به صفحة جديدة مهمة في حياته وفي حياة بلده، فيقبل على طلب العلم جاهداً مجاهداً، لم يثنه الجوع، ولم تفت في عضده الظروف المعيشية التي تواجهها أسرته، بل دفعه تشجيع شقيقه الأكبر محمد له ليتخطى الصعاب ويشق طريقه نحو طلب العلم، والتفقه في الدين، وهي نعمة يهبها الله من يشاء من عباده؛ مصداقًا لقول الرسول –عليه الصلاة والسلام–: ((**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**)).

ويكشف لك البحث عن شخصية توسعت مداركها العلمية والفقهية، وأخذت العلم من منابعه، واغترفت من صافي وأنقى مشاربه؛ واستوعبته بعقل حصيف راجح منفتح غير منغلق ولا متجمد، تنبئك عنه جملة من الفتاوى الشرعية والأحكام القضائية، والعديد من المساجلات والتقريظات الفقهية على بعض الأحكام والفتاوى الصادرة؛ فيقول فيها رأيه السديد المعتمد على النصوص والأدلة الفقهية، وعلى المنطق العلمي؛ وعلى الدراية والخبرة والحكمة، وعلى سعة اطلاع وبُعْدِ أفقٍ يغمرها كلها ويلفها فوق هذا وذاك ومضة نورانية من تواضع العلماء وشفافيتهم ورهافة إحساسهم؛ فيا لها من موهبة و يا لها من نعمة إلهية.

وتجده لتواضعه الجم، ولسمو روحه وعزة نفسه، يتجنب الدخول في المساجلات والمداخلات القضائية غير الموضوعية، ولكنه عندما يرى الباطل يحاول الزحف على حساب الحق ينبري له كأشد ما يكون المدافع عن حياضه، ففي فتاويه وفي ردوده وتقاريظه لبعض الأحكام ما يضعك أمام شخصية شجاعة جسورة في قول الحق، غير هيابة لسطوة الباطل، غيورة على دينها وشريعتها الإسلامية السمحاء، غيورة على

القضاء ورجال القضاء؛ يقول عنه الوالد –المؤلف أطال الله في عمره وأمده بالصحة–: **"حقاً لقد كانت تعتريه حدة في بعض الشؤون، وعناد في بعض المجادلات؛ ولكنها تليق بأمثاله من العلماء، وعناد يجب أن يكون لتبقي للشريعة هيبتها، ولأحكامها سلطانها على النفوس، ومع ذلك فقد كان وقّافاً عند النصوص، ومقدِّراً لأفهام العلماء فيها، وإن كان ذلك لا يثنيه عن التمسك بفهمه طالما وجد ما يدعمه ولو في عموم النصوص؛ إذا كان مثل ذلك مما يخدم المصلحة العامة"**.

ويندهش المرء كثيراً لهذا الانسجام الرائع البديع بين تواضع هذه الشخصية وبين الرهبة التي تملأ نفوس زملائه ورؤسائه ومرؤوسيه له، وحتى من هو أعلى مرتبة منه في المسؤولية في الدولة، بمن فيهم سلطان البلاد، ولكنه تواضع العلماء، وتقدير الناس، واعتزازهم بعلمهم وأخلاقهم، رهبة للعلم، ومكانة القضاء، وسمو منزلته.

وعلى الرغم من أن مهمة المصحح تتطلب التدقيق والتمعن والتأني، إلا أن طبيعة الموضوع من جهة، وأسلوب الباحث يدعوانك بإلحاح –وفي مواضع كثيرة– إلى الاندفاع بقوة لتتبع قضية ما، أو معرفة تفاصيل

مسألة شائكة؛ فيجد القارئ نفسه مشدوداً إلى إيقاع سريع يعبر به المسافات الطويلة؛ لفك رموز قضية تداخلت خيوط نسيجها بين مجموعة من الفقهاء والقضاة والمفتين، وربما أحيانًا يتطفل عليهم بعض المتفيقهين أو المحسوبين على القضاء والعدالة.

وأحسب أنني قد شدتني بعض الميولات الأدبية نحو الشعر واللغة في شخصية هذا الفقيه القاضي، فبقدر انبهاري بتلك القدرات الفقهية والعلمية، وذلك الذكاء المتقد الذي يستشفه القارئ من بين ثنايا الفتاوى والأحكام القضائية، وقدرة فائقة في تبيان البراهين والحجج الفقهية، وتقصي فروعها، والغوص في أصولها، فإن مما يدهش المرء تلك اللغة التي تكتب بها الفتاوى والأحكام، وهي لغة سلسلة مفهومة، وهي وإن كانت مشبعة بعبارات وبجمل وبمفردات جزلة منتقاه، إلا أنها تأتي سلسة عفوية منسابة انسياب الماء الرقراق في الجدول النمير، ترقى إلى مستوى عال من الأسلوب العلمي المتأدب، فإن شئت قرأتها حكمًا قضائيًا معززاً بالأدلة الفقهية، وإن شئت قرأتها نصًا أدبيًا يبهرك أسلوبه ولغته، مع ملكة وقدرة على تطويع الكلمة لإيصال المفهوم والمعنى.

وعلى ندرة ما يطلع عليه القارئ من أبيات شعرية بين دفتي هذ الكتاب؛ إلا أنها تنبئ عن محاولات رائعة وجميلة؛ لو أن قائلها أرخى العنان لقريحته أن تنطلق في هذا المجال؛ لأتحفنا بجيد الشعر وأعذبه، ومع ذلك فإن من هذه الأبيات ما يغلب عليه الطابع الموضوعي الجاد، مع بعض الومضات الروحانية والرؤى الفلسفية.

فالكتاب إذن: قبل أن أكون مصححًا له، فأنا قارئ له قبل ذلك وبعده؛ لأنه مكنني من اكتشاف لآلئ ثمينة، ودرر نفيسة في شخصية القاضي الفاضل والعلامة والمربي والمعلم الشيخ: عبد الله بن عوض بكير، تدفعني وتحثني إلى الكتابة عنها أو عن بعضها إذا وفقني الله ووجدت إلى ذلك سبيلاً.

وأخيراً: فإن ما بين الانتهاء من كتابة هذا السجل التاريخي لثلث قرن من القضاء في حضرموت وإخراجه وطباعته ونشره بإذن الله ثلث قرن آخر تداخلت فيه الكثير من مفاهيم وتقاليد وسياقات العمل القضائي المؤسسي؛ إما انعكاسًا وإما تماشيًا مع متغيرات في كثير من

مستجدات الحياة الاجتماعية والسياسية المعاصرة، أفقدت القضاء جزءاً من هيبته، وأفسدت عليه جانبًا من وقاره.

وأحسب أن قراءة جادة لهذا البحث في تاريخ القضاء قد يستفز عقول وضمائر من هم في موقع المسؤولية الرسمية والعلمية والفقهية من أن يقولوا كلمة الحق لتصويب مسار القضاء والقانون والعدالة بعد أن طمع في تشويهه وتدنيسه وتغيير اتجاهه بعض من نصبوا أنفسهم رعاة له ومسئولين عنه، والحق أحق أن يتبع.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

صنعاء، ٢٦ جماد الثاني ١٤١٨هـ

الموافق: ٢٨ أكتوبر ١٩٩٧م



المدخل إلى القضاء

إضافة نوعية متميزة للمكتبة الفقهية الشرعية

الحمد لله القائل في محكم تنزيله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٧٦]، والصلاة والسلام على رسوله الخاتم الصادق الأمين الذي أرسله رحمة للعالمين، وهو القائل ((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)).

أما بعد: فلقد كان لصدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام: (١٩٦٤م) أثره الإيجابي البالغ؛ إذ شكل إضافة نوعية متميزة للمكتبة الفقهية الشرعية بحضرموت في ذلك الوقت، وقيمه علماء من ذوي الاختصاص تقييماً حسناً يرتقي إلى مستوى الجهد العلمي الذي بذل في تأليفه، وإلى أهمية القضايا والمسائل الفقهية التي تضمنته، والتي كانت مثار جدل وبحث ودراسة بين المختصين بعلوم الشريعة الإسلامية، وبخاصة في مجال القضاء والفتوى.

ومما يضفي إلى الكتاب أهمية: تلك الملاحق المتضمنة عدداً من القرارات واللوائح والمنشورات والتعليمات القضائية الصادرة عن سلطة القضاء الشرعي في تلك الفترة، ممثلة في المجلس العالي للقضاء، والتي شكلت في مجموعها منظومة من القواعد الفقهية والقضائية والإدارية ترسم سياسة قضائية شرعية مستقلة، وتضع ركائز بنيان مؤسسي قضائي شرعي لم يكن موجوداً قبل ذلك التاريخ وفق تلك النمطية وتلك السياقات العصرية.

واليوم تصدر الطبعة الثانية من الكتاب بعنوانه الجديد: (**نماذج من فقه القضاء وفقه الفتوى بحضرموت**) حرص المؤلف الفاضل عدم الزيادة أو التعديل فيها، ولكنه أتحفنا بمقدمة للطبعة الثانية تغني عن كل زيادة، وحسب القارئ الحصيف المتمعن أن يجد ضالته بين أسطرها، ومن خلال الأفكار والمعاني والمدلولات الواردة فيها.

ويظل الكتاب الذي بين أيدينا ذخيرة علمية طيبة، وشجرة مباركة وارفة الظلال، مليئة بطيب الثمار، يتفيأ ظلالها، وينعم بطيب ثمارها طلبة العلم والمشتغلون بالقضاء، والمجتهدون بالفتوى.

وفق الله المؤلف الفاضل لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأنعم عليه بالصحة والعافية، وجعل هذا الجهد العلمي في ميزان حسناته، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صنعاء، أواخر رمضان المبارك، عام ١٤٢٢هـ

منتصف ديسمبر، عام ٢٠٠١م



رسالة الوالد .. معانٍ ودلالات

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة النمل:١٩].

نحمدك اللهم ربي كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.. نحمدك على نعمة الإسلام التي هي أجل نعمة، وأقدس منة منك أنت لا شريك لك.

ونصلي ونسلم على خير الورى، وصفوة أنبيائك، وخاتم رسلك، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحابته أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد: فإنه لما اتصل بي الإخوة الأفاضل في مجلة حضرموت للكتابة عن سيدي الوالد الفاضل الشيخ: **عبدالرحمن بن عبدالله بن عوض بكير** ضمن مجموعة من المقالات والأبحاث والدراسات المكرسة عن فضيلته؛ دارت بخلدي العديد من الأفكار والخواطر، حتى استقر بي

المقام على نشر إحدى الرسائل الموجهة إليّ قبل ما يقارب من ربع قرن من عامنا الهجري هذا، وبالذات في العام: (١٤٠٧هـ).

ولقد وجدت أنّ نشرها في هذه الظروف بالذات، وفي مجلة حضرموت —التي نأمل أن تكون إضافة في عالم المطبوعات الثقافية بإذن الله— مناسبة طيبة، كونها —أي: الرسالة— تحمل في طياتها الكثير من الدلالات والمعاني.

وهذه الرسالة أرسلت من مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية إلى العاصمة العراقية: بغداد، حيث كنت مقيمًا، وذلك بتاريخ: ١٢ / ٣ / ١٤٠٧هـ، الموافق: ١٤ / ١١ / ١٩٨٦م، وإليك نصها:

نص الرسالة:

جدة – السعودية: ١٢ / ٣ / ١٤٠٧هـ

من: عبدالرحمن عبدالله بكير

إلى: ابنه عبدالله عبدالرحمن

السلام عليكم ورحمة الله بركاته ..

ودعواتي لكم بكل خير .. وبعد:

لئن كان اغتباطي بكتابي الأول [المدخل إلى القضاء الشرعي بحضرموت] شديداً أو كثيراً؛ حيث كان باكورة كتبي المطبوعة؛ فإن اغتباطي بإخراج [شرح عماد الرضا] أشد وأكثر؛ ذلك: أن مؤلف كتاب [عماد الرضا] توفي في عام: (٩٢٦هـ)، وشارحه توفي عام: (١٠٣١هـ)، وما زال الكتابان منذ تأليفهما –وهما من الأهمية بمكان في موضوعهما– كنزاً مخفياً في عالم غيب المخطوطات، إلى أن هيأ الله لي –وله المنة وحده– أن أقوم بتحقيقهما وإخراجهما إلى عالم الشهادة والمطبوعات، وتعليق بعض الحواشي عليهما ككتاب واحد، فكان العمل مزدوجاً لسلف هم من خيار هذه الأمة، ولي بما أرجو به الثواب من الله، واستمرار النفع به –إن شاء الله–، فإن المرء إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له.

وإنني لآمل أن يكون لي حظ من كل أولئك الثلاث؛ بما هيأه الله سبحانه لي من آباء سبقوني، وأبناء سيخلفونني إن شاء الله، فبارك الله فيكم، وأطال أعماركم، ووفقكم لكل خير، وغفر لي ولوالدي، ورحمهما كما ربياني صغيرا، ولمشايخي معهم جزيل الرحمة، وكمال الرضوان، آمين.

ولا أنسى من خالص شكري ودعائي زملاء وإخواناً لي ساعدوني كلا بجهده وفي حدود إمكاناته؛ فهم في الثواب والأجر شركاء لي، بقدر ما قدموا، وبقدر ما نووا؛ فالأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

وأرجو أن تجد النسخة المرفقة بهذا الخطاب مكاناً لها في مكتبتك، ويقيني أنها لن تكون إلا كذلك؛ بل وستكون من مفاخر مكتبتك -إن شاء الله- يا بني، وستعود لها ويعود لها أبناؤك معك، ويعود لها إخوان لكم معكم، وأبناؤهم معهم -بإذن الله- كلما جدَّت بكم ذكرى لأبيكم، ولهم ذكرى لجدهم؛ وما أكثر مناسبات الذكريات، وهي آخر ما يتبقى للإنسان، وذكراه وذكرياته .. هي عمره الثاني .. حفظكم الله.

وأهمية الرسالة: أنها أرسلت برفقة نسخة من كتاب: [**فتح الرؤوف القادر**]؛ للإمام عبد الرؤوف بن علي زين الدين المناوي القاهري؛ شرحًا على كتاب: [**عماد الرضا ببيان آداب القضاء**]، لخاتمة المحققين، شيخ الإسلام والمسلمين: أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، بعد أن حققه الوالد وعلّق على حواشيه.

هذا المؤلَّف حققه الوالد الفاضل، وصححه، وتمت طباعته ونشره من قبل الدار السعودية للنشر والتوزيع، عام: (١٤٠٦هـ)، الموافق: (١٩٨٦م)، وتم توزيعه رسميًا في صفر من عام: (١٤٠٧هـ)؛ بناء على مذكرة مدير الإعلام الداخلي بالمملكة العربية السعودية، في: ٢٦ / ٢ / ١٤٠٧هـ.

لقد تضمنت هذه الرسالة -وكما أشرت آنفًا- الكثير من الدلالات، والكثير من المعاني؛ كما حوت الكثير من الموجهات والتوجيهات الضمنية التي أراد سيدي الوالد أن يوصلها بطريقته المعهودة إليّ وإلى كافة أبنائه وأحفاده.

ولعلي قد فهمت من هذه الرسالة أموراً مهمة، أوجزها باقتضاب في الآتي:

أولاً: مواجهة الظروف القاسية بالغوص في أعماق بحور العلم والمعرفة:

إن مبعث هذه الرسالة في الأساس هو: خروج كتابَي [**فتح الرؤوف القادر**]، و [**عماد الرضا ببيان آداب القضاء**]، من "**عالم غيب المخطوطات.. إلى عالم الشهادة والمطبوعات**"، كما يشير سيدي الوالد في رسالته هذه.

ومن الأهمية بمكان أن هذا الجهد العلمي المتميز قد بدأت فكرته منذ عام: (١٩٦٨ ميلادية) التي تزامنت مع بدء سنوات عجاف في حياة الوالد، تعرض فيها إلى مختلف أساليب الاضطهاد والقسر والتعسف، ودخول السجن لمرات عديدة، خلال الفترة منذ أواخر عام: (١٩٦٧م)، حتى بداية الثمانينيات من القرن الميلادي الماضي.

والدلالة المعنوية والتاريخية التي أريد الإشارة إليها هنا: أن سيدي الوالد الفاضل لم يعط لهذه الظروف السيئة مجالاً للسيطرة على نفسه، بل على العكس من ذلك؛ جعلها مهمازاً لطلب العلم والبحث فيه، ضاربـًا صفحـًا بكل مؤثرات الدسائس والأحقاد والضغائن، التي دفعت

بضعاف النفوس وقادة الجهل والتخلف إلى اعتقاله عدة مرات، دون توجيه تهمة قانونية محددة ضده، ولا حتى مساءلته أو التحقيق معه، ناهيك عن تقديمه للمحاكمة.

إذن: فالمدلول المعنوي والتاريخي للاشتغال بتحقيق هذا الكنز التاريخي التراثي في آداب القضاء وتاريخه خلال هذه الفترة مع قراءات وكتابات وأبحاث ودراسات أخرى يبدو جليًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض.

فالخروج من ظلمة الكيد والمكائد السياسية إلى نور العلم وضيائه.. ومن عالم الحقد والضغينة إلى عالم المعرفة.. ومن مجاهل الجهل وأدغال الجهالة إلى فضاءات العلم ونورانيته؛ هي منة من الله وفضل يصيب بها من يشاء من عباده الصالحين، وفي هذا عظة وعبرة، بل دروس نستقيها من حياة الوالد ونستفيد منها.

وإذا أمعنا النظر قليلاً وجدنا أن بين فكرة تحقيق الكتاب وإخراجها إلى حيز الواقع ما يقارب من تسعة عشر عامًا؛ توالت فيها أحداث،

وتعاقبت نوائب على البلاد والعباد؛ يقول الوالد الفاضل في: [مقدمة المصحح] (ص: ٧): "**فإنه في أواخر عام: (١٣٨٧هـ)، يوافق عام: (١٩٦٨م)، فكرت في القيام بتصحيح وتنقيح وتحقيق كتاب:** [فتح الرؤوف القادر] **للعلامة المناوي، وهو شرح كتاب:** [عماد الرضا ببيان آداب القضاء]...".

إذن: فخروج هذين الكتابين إلى عالم المطبوعات والنشر من ضمن دلالاته ومدلولاته؛ ومن ضمن عظاته وعبره؛ كيفية مواجهة الظروف الصعبة القاسية بالغوص في أعماق بحور العلم والمعرفة، وتقديم المفيد لأبناء هذه الأمة، وكأني بوالدي الفاضل يهمس في أذني قائلاً: إن هناك وسائل كثيرة في السلوك الأخلاقي الإنساني بها يمكن تحدي واقع السقوط والجهالة، وتجنب الانزلاق في مجاهل الفوضى والتخلف، وإن الكتاب يظل خير جليس، وخير أنيس في كل مكان، مهما ضاقت مساحته، وأظلمت أجواؤه، وفي كل زمان، مهما قست أيامه وادلهمت وتعاظمت نوائبه.

أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

فالمرء يضع نفسه في المكان اللائق به، ويسلك السلوك الفاضل الذي يليق بذلك المكان وتلك المكانة.

وكما فعل سيدي الوالد الفاضل من خلال تحقيقه لهذين الكتابين، فإن كتابه: [**من مائدة الهدي النبوي .. خواطر ذكريات وعبر**]، الذي صدر في العام الهجري: (١٤٢٦)، الموافق للعام الميلادي: (٢٠٠٥)، فإن بداياته بل أكثر مادته قد كتبت في أثناء تنقل الوالد بين سجون المكلا، كما أشار هو إلى ذلك في ملاحظة موجزة في آخر الكتاب، وقد كان لي شرف الاطلاع على إحدى مسوداته صيف عام: (١٩٧٥م).

كما كتب الوالد في تلك الفترة العصيبة كتاب: [**بيع العهدة بين مؤيديه ومعارضيه**]، وتمت طباعته في بغداد عام: (١٤٠٨هـ)، الموافق: (١٩٨٨م)، والذي قال في مقدمته: "**ولقد شاء الله -سبحانه وتعالى- لهذا البحث أن يكتب قبل أكثر من ستة عشر عاماً من تاريخه اليوم: (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، وربما كان الغرض من كتابته حينها التسلي أو شغل الفراغ؛ فقد جاء عقب فترة أو في أثناء فترة من الأتعاب النفسية، وربما العضوية، عام: (١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م)، وكانت الخشية والخوف من تتابع أسباب تلك الأتعاب من العوامل النفسية المنشطة للكتابة والدافعة إليها**".

ثانياً: جهد علمي متميز يضاف إلى جهود أخرى متميزة:

إن سعادة سيدي الوالد بتحقيق هذين الكتابين، والتوفيق في طباعتهما ونشرهما في كتاب واحد بمجلدين، مع الأخذ بظروف الزمان والمكان، وبالظروف الشخصية المحيطة.. إضافة إلى مكانة وأهمية هذين الكتابين بين أمهات المخطوطات والكتب المطبوعة في علم القضاء الشرعي، كانت سعادة غامرة عبر عنها والدي الفاضل بمشاعر فَيَّاضة في صدر الرسالة مباشرة في إشارة واضحة لما يختلج في وجدانه من أحاسيس؛ حيث يقول في مستهل الرسالة: **"لئن كان اغتباطي بكتابي الأول [المدخل إلى القضاء الشرعي بحضرموت] شديداً أو كثيراً، حيث كان باكورة كتبي المطبوعة، فإن اغتباطي بإخراج [شرح عماد الرضا] أشد وأكثر"**.

إن السعادة التي أثلجت صدر الوالد، بل أثلجت صدورنا جميعـًا؛ أن هذا المؤلَّف الذي أخرجه الوالد يضم الكتابين معـًا، [**عماد الرضا ببيان آداب القضاء**] للأنصاري، وشرحه: [**فتح الرؤوف القادر**] للمناوي، وهو جهد علمي متميز يضاف إلى جهود متميزة لعلماء عظام من علماء الشريعة الإسلامية في مجال القضاء الشرعي وأحكامه وآدابه، وإشارة

الوالد الفاضل إلى ذلك واضحة في الرسالة حيث يقول: **"وما زال الكتابان منذ تأليفهما وهما من الأهمية بمكان في موضوعهما كنزاً مخفياً في عالم غيب المخطوطات، إلى أن هيأ الله لي -وله المنة وحده- أن أقوم بتحقيقهما وإخراجهما إلى عالم الشهادة والمطبوعات، وتعليق بعض الحواشي عليهما ككتاب واحد، فكان العمل مزدوجاً لسلف هم من خيار هذه الأمة"**.

إن قراءة متأنية لـ: (مقدمة المصحح) ناهيك عن متن الكتاب؛ توضح مدى ذلك الجهد العلمي الذي بذل في تصحيح وتحقيق هذين الكتابين من حيث: الطريقة المنهجية العلمية الدقيقة التي اتبعها الباحث في التصحيح والتحقيق والتعليق والشرح، وكذا أمهات المراجع في فقه الشريعة الإسلامية وفقه القضاء الشرعي التي اعتمد عليها ورجع إليها في أثناء البحث والتحقيق؛ حتى خرج الكتاب تحفة أخرى تضاف إلى تحفة: [**عماد الرضا**]، وتحفة: [**فتح الرؤوف القادر**].

وكما هي مقدمات بعض أمهات الكتب في العلوم والمعارف الإنسانية المختلفة تظل مقدمة المصحح بحد ذاتها منهجاً علمياً يستفيد منه طلبة العلم من الدارسين والباحثين.

وأدعو طلبة العلم الباحثين في علوم الشريعة الإسلامية بشكل عام، وعلوم القضاء الشرعي على وجه الخصوص أن لا تفوتهم فرصة مطالعة هذا الكتاب، والاغتراف من معينه.

أما الكتاب الذي أشار إليه سيدي الوالد في رسالته إليّ بعنوان: [**المدخل إلى القضاء الشرعي بحضرموت**]؛ فإنه بالفعل باكورة أعماله المطبوعة؛ وتمت طباعته بمطبعة الإمام (١٣ شارع قرقول، المنشية بالقلعة بمصر)، بعنوان: [**المدخل إلى المسائل المختارة لمحاكم حضرموت**]؛ وذلك في العام: (١٣٨٣هـ)، الموافق: (١٩٦٤م)، ولقد دبجت هذه الطبعة بمقدمة غير تقليدية للأستاذ الفاضل المؤرخ والباحث المعروف: محمد عبدالقادر بامطرف -عليه رحمة الله-، قال فيها عن سيدي الوالد:

"والمؤلف من الأفراد القلائل بحضرموت الذين أوتوا القدرة على تقنين الأحكام الشرعية، وشرحها وتبسيطها، وعلى السير بمثل هذه الإنجازات، على غرار الأنظمة القضائية المعمول بها في البلاد المتقدمة، مع التزام تام بالروح الإسلامية، ودراية واسعة بموضوعه الذي وقف عليه جهده ووقته، وهذه المهمة

ليست مما يتيسر القيام به لكل طلاب علم الشريعة الإسلامية؛ لأنها في حد ذاتها علم وموهبة؛ بل إنها إلى ميدان التخصص أقرب منها إلى المعرفة المشاعة بين طلبة علم الفقه الإسلامي".

ومن المفيد أن نشير هنا إلى: أن الأستاذ بامطرف -رحمة الله عليه- كان رفيق الوالد في المعتقلات والسجون المختلفة، منها على سبيل المثال لا الحصر: معتقل (جول باحاوي) في مديرية حجر، و(سجن المنورة) بمدينة المكلا.

ولقد يسر الله -سبحانه وتعالى- للوالد ما يمكنه من إعادة نشر هذا الكتاب بعد مراجعته والتقديم له تحت عنوان: [**نماذج من فقه القضاء، وفقه الفتوى بحضرموت**]، وذلك في عام: (١٤٢٢هـ)، الموافق: (٢٠٠٢م).

ثالثاً: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [سورة النجم:٣٩].

أقول: إن في إشارة سيدي الوالد إلى حديث المصطفى سيدنا محمد بن عبدالله -عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه أفضل الصلاة وأتم التسليم- كثير من المعاني والدلالات، وكثير من المفاهيم والمقاصد؛

فالمرء أولاً وأخيراً بعلمه وتقواه بعد هداية الله له ورحمته ورضوانه هو عابر سبيل في هذه الدنيا الفانية، فإذا غادرها إلى الدار الآخرة التي هي خيرٌ وأبقى، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو عمل ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، فليس له في الآخرة -بعد رحمة الله- إلا ما سعى، يقول تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ [سورة النجم:٣٩-٤٠].

يقول سيدي الوالد في رسالته: **"ولي بما أرجو به الثواب من الله واستمرار النفع به -إن شاء الله-، فإن المرء إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، وإنني لآمل أن يكون لي حظ من كل أولئك الثلاث"**.

وأني لأسأل الله -عز وجل-، وألح في الدعاء بأسمائه الحسنى وبصفاته العلى؛ أن يكون للوالد -حفظه الله- حظ من كل أولئك، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

رابعاً: بر الوالدين والإحسان لهما:

لقد أفرد الوالد -حفظه الله، وأسبغ عليه نعمة الصحة والعافية- حيزاً مستقلاً بعد (مقدمة المصحح) لوالده صاحب الفضيلة العلامة: عبدالله بن عوض بن مبارك بكير -عليه رحمة الله-، مقدراً ومعترفاً بجميل فضله الكبير عليه في مهمة تحقيق الكتابين وتصحيحهما، قال الوالد -حفظه الله- في هذه الفقرة المعنونة: (معلومة مهمة)، (ص: ١٦):

"لقد كان لتشجيع سيدي أبي صاحب الفضيلة الشيخ: عبدالله بن عوض بن مبارك بكير -عليه رحمة الله- الفضل الكبير في الأخذ بيدي لإنهاء مهمة تحقيق هذا الكتاب بالطريقة التي انتهجتها؛ فقد كان يراجع بنفسه بعض التعليقات، ويوجهني لما هو الأفضل في التصحيح، وذلك لما يعلمه من قيمة هذا الكتاب -القضائية بخاصة، والفقهية بعامة-، كيف لا وهو الخبير بالقضاء الشرعي، وبشؤون القضاء الشرعي، وبأهم كتب القضاء الإسلامية المتخصصة، وهذا منها".

هذه الالتفاتة الكريمة تشير إلى حب الوالد الجم، وتقديره واحترامه وحرصه الدائم على إبراز ذكرى والده الفاضل -رحمه الله- كلما وجد

فرصة لذلك، وفضله الكبير عليه علمـًا وسلوكـًا وأخلاقـًا ومنهج حياة، كما هي إضاءة أخرى تضيء لنا -نحن الأبناء والأحفاد- درب البر والإحسان لوالدينا.

ولقد كان لصاحب الفضيلة -رحمة الله عليه- فضل علينا جميعـًا أبناءً وأحفاداً وأحفاد الأحفاد -إن شاء الله-، كيف لا وهو المعلم والمربي والموجه والقدوة الحسنة لنا جميعـًا؛ نسأل الله له المغفرة والرحمة والرضوان، كما أن لهذه الالتفاتة الكريمة من سيدي الوالد -حفظه الله- لوالده صاحب الفضيلة -رحمة الله عليه- وقعها الخاص في وجداني أنا شخصيـًا، وهي: إضاءة تربوية أخرى منه إلينا؛ نحن أبناءه وأحفاده.

خامساً: مكانة الرسالة والكتاب واعتزازي بهما:

وإنني لأجد في العبارات الأخيرة التي اختتم بها سيدي الوالد -حفظه الله- رسالته إليّ توجيهـًا صريحـًا بأن تجد نسخة كتاب: [**عماد الرضا**] المرفقة بالرسالة مكانها في مكتبتي الخاصة، يقول: "**وأرجو أن تجد النسخة المرفقة بهذا الخطاب مكاناً لها في مكتبتك، ويقيني أنها لن تكون إلا كذلك؛ بل ستكون من مفاخر مكتبتك -إن شاء الله-**..".

وهذا التوجيه يحتل مكانة خاصة في نفسي؛ لاعتبارات كثيرة، كونها صادرة من سيدي الوالد أولاً، وأنها تتعلق بموضوع العلم والمعرفة ثانيـًا.

وهذه النسخة ومنذ أكثر من ربع قرن تجد مكانها اللائق بها في مكتبتي الخاصة أينما كنت وحيثما حللت؛ بل إنها والرسالة تجدان مكانتهما في نفسي ووجداني أعود إليهما كلما وجدت حاجتي لها، أو عادت بي الذكرى لها.

إن اعتزازي بهذه الرسالة وبنسخة الكتاب لا يقل عن اغتباط والدي الفاضل -حفظه الله- بتصحيح هذا الكتاب، وتحقيقه، وإخراجه إلى عالم الشهادة والمطبوعات.

وكلي أمل أن أكون عند حسن ظنه بي، وبإخوتي جميعـًا، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لمرضاته ثم رضا والدينا، وأن يوفقنا لما فيه الخير في الدارين، وأن يبارك لنا في ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وفي دنيانا التي فيها معاشنا، وفي آخرتنا التي إليها معادنا، ونصلي ونسلم على الصادق الأمين الذي أُرسلَ رحمة للعالمين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

مجلة حضرموت، العدد: (٦ و ٧)، يناير – ديسمبر ٢٠١٢م

أباً حنوناً ومربياً فاضلاً ومعلماً حكيماً

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صفوة الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلقد أتحفنا الدكتور: فارس بن طالب العزاوي بهذا الجهد العلمي الذي لا يضاف إلى سيرته العلمية فحسب، وإنما يضاف إلى المكتبة العربية الإسلامية، الذي سيحتل فيها هذا الكتاب مكانة مرموقة، خاصة وأنه يترجم لأحد أعلام اليمن المعاصرين، الذين شحت العقول والأقلام في الفترة الأخيرة من تاريخ اليمن في الكتابة عنهم.

إنني لا أتحدث في هذا المقام من نظرة ذاتية ضيقة، كون الكتاب يسرد جانبًا من سيرة الوالد -رحمه الله-، ولكنني وبكل تواضع أنظر إلى هذا الكتاب بعين الباحث، وبصيرته، وبنفس علمي منهجي موضوعي، وفق قواعد البحث العلمي وضوابطه، التي وفق الله -سبحانه وتعالى- الباحث للأخذ بها.

وإذا كانت نسمات العاطفة تهب علينا من وقت لآخر في ثنايا بعض السطور، ومن دون استئذان المؤلف نفسه، إلا أنها عاطفة تبجيل واحترام وتقدير من تلميذ لشيخه، لا تقلل من القيمة المنهجية والعلمية للبحث، إن لم تكن في واقع الأمر تثريها، وتعطي نموذجاً لطالب العلم أن يقتدي بها، في إطار الموضوعية المطلوبة في هكذا أبحاث؛ إذ أن هذه العاطفة هي من طبيعة الإنسان، وجبلته، وخلقه الكريم.

ولا نضيف جديداً إذا قلنا: إن مثل هذا الأمر ليس سابقة غير محمودة في الكتابة العلمية، فكثير من الرسائل العلمية التي تعرضت لإعمال الفقهاء والأدباء ورجال العلم كان نصيب "العاطفة العلمية" فيها واضح وجلي.

ولقد كانت لي وقفة مع كتاب للمؤلف الفاضل سبق وأن أهداه لي عام: (٢٠١٠ ميلادية)، تحت عنوان: [**مفهوم الحرب ومرتكزاته السياسية: دراسة مقارنة بين النووي ومورجانثو**]، وأصل الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف -حفظه الله- لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، استطاع المؤلف من خلالها وبكل جدارة علمية أن يحلل المرتكزات السياسية لمفهوم الحرب، وبحث الأسباب السياسية لهذا

المفهوم، من خلال رؤية علمية منهجية وموضوعية سليمة، وخلفية فكرية إسلامية واضحة.

وهو هنا في هذا الكتاب لا يفاجئنا بقدراته الكتابية، ولا بأسلوبه العلمي المتأدب، فقد خبرناه في أعمال أخرى سابقة، منها بحثه في: [**المصالح المرسلة: مفهومها -حجيتها- علاقتها بالمقاصد**]، ولكنه هنا أيضا يفاجئنا مرة أخرى بمقدرته الكتابية والبحثية الإبداعية في لم شتات موضوعات مختلفة أحكم نسيجها، منطلقها واحد، ومحورها علم واحد من أعلام الفكر الإسلامي في اليمن، وقامة علمية في مجال الشريعة الإسلامية والقضاء الشرعي.

ويبدو أن المؤلف -حفظه الله- وهو يضعنا في صورة هذا البحث إنما يريد استثارة عقول طلبة العلم والباحثين منهم خاصة، وتحفيزهم إلى تناول هذه الموضوعات بالبحث والدراسة العلمية، بل أنه قد أشار بوضوح (ص: ٧٩) إلى ذلك بقوله: "**فمشروع بكير ما زال إلى الآن بغير قراء جادين، وبغير مريدين، فهل عرضت بعض كتبه مثلا على طلاب الدراسات العليا بقسم الدراسات الإسلامية بكيلة**

الآداب جامعة حضرموت؟! وهل تناول بعض المختصين بالقضاء والفقه شيئا من كتبه بالتحليل والقراءة، وما جرى بينه وبين علماء آخرين من مطارحات؟!...".

ونحن هنا نريد أن نطمئن الباحث -حفظه الله- بأن هناك بدايات طيبة من طلبة الدراسات العليا في بعض الجامعات اليمنية لنيل درجة الماجستير في إطار مشروع طموح لأبحاث ودراسات متعددة مختلفة، نسأل الله لهم التوفيق، وإنما الأعمال بالنيات.

وإذا كان هذا الكتاب الذي بين أيدينا يمثل مقدمة لسلسلة علمية من الكتب والأبحاث حول: (أعلام حضرموت)، فإنها ستكون بداية قوية وثابة -بإذن الله- ننظر إليها بنظرة المتفائل الطموح، وفاتحة خير وبركة في مسيرة علمية مباركة، يشكر ويثاب كل القائمين عليها.

لقد تعرض الكتاب بالبحث والدراسة إلى شخصية سيدي الوالد -رحمه الله- من خلال محاور ثلاثة، هي كما يشير إليها المؤلف:

- **السيرة وملامح النشأة والتكوين العلمي.**
- **أبعاد التحمل المنهجي والأداء التنزيلي.**
- **المصنفات والمؤلفات.**

ولسنا هنا بصدد الخوض فيها، والتعليق عليها، فلهذا المضمار فرسانه، ولهذه الساحة فتيانها، غير أن ما يلفت الانتباه والاهتمام بالنسبة لي شخصيًا -وهنا نكون أقرب إلى الذاتية العاطفية- هو ما ذيله المؤلف -حفظه الله- في عنوان الكتاب، عندما أشار إلى نفسه بالقول: (بقلم تلميذه د. فارس طالب العزاوي)، وهي من اللمسات الذاتية والعاطفية التي أشرنا قبل قليل إليها، والتي تظهر بين الفينة والأخرى داخل النص لتعبر عن نفسها، مخترقة القواعد والحجب العلمية، ومتجاوزة للسواتر الموضوعية، هذه العبارة تترك في النفس وقعًا خاصًا، لا يحسه إلا من عايش التجربة، وتأثر بها.

وليسمح لي المؤلف الفاضل أن أعبر عن هذه العبارة -الذاتية جدا- بالقول: بأنها لفتة كريمة، تحمل في طياتها نبل المشاعر المعبرة عن الوفاء والعرفان من طالب علم إلى معلمه، ولكننا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا: بأنها تعبر عن مستوى عال من بر الولد لوالده، ومن إحسان الابن لأبيه، إنها إلى فضيلة البر بالوالدين أقرب منها إلى مشاعر الوفاء والعرفان.

لقد كان لهذه العبارة وقعًا خاصًا في نفسي، دق باب ذاكرتي بقوة؛ لتعود بي إلى بعض أيام صباي وشبابي، والبصمات المباركة للوالد العزيز -رحمه الله- فيها، فلقد كان أبًا حنونًا عطوفًا، ومربيًا فاضلاً، ومعلمًا حكيمًا، ونموذجًا مثاليًا في حسن الخلق والسلوك، أبًا وابنًا.

لقد رأيته في طفولتي وصباي ابنا باراً لأبيه، تعلم منه حسن الأدب والمعاملة .. تعلم منه احترام العلم ومشايخه .. تعلم منه التواضع في غير ضعف ولا مذلة.

كما تعلم منه احترام القيم الاجتماعية الحميدة، ونبذ الموروثات الثقافية والاجتماعية المنافية لتعاليم الإسلام الحنيف، وروح الشريعة الإسلامية السمحاء.

كما تعلم سيدي الوالد من أبيه -عليهما رحمة الله- الكثير من الخصال الكريمة، وورث عنه الكثير من السجايا الحميدة، التي مكنته بكفاءة واقتدار من أن يحتل ما احتله من مكانة مشرفة في مجال العلم والقضاء والحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها، ولكل هذه المناقب المشار إليها

شواهد في الواقع الذي عشناه معهما، غير أن هذا المقام ليس كله مقامه، فالحديث فيه يطول، إلا أنني عرفانا لهما وبراً بهما أقول: لقد عكس سيدي الوالد –رحمه الله– هذه الصورة في معاملته معنا ممارسة وفعلاً، ولقد كانت فرصة مرافقتي له في اثنتين من رحلاته الرسمية، سواء في الساحل الحضرمي، أو في واديه، دروسا كثيرة، لا زالت تمثل لي الكثير والكثير، وستظل مسيرته العلمية والعملية تشكل محطات في غاية الأهمية.

كما أن محنة الاعتقال والاضطهاد التي تعرض لها هي الأخرى تمثل تجربة مرة، فيها الكثير من العظات والدروس والعبر، أفصح عن بعضها بطريقة أو بأخرى في بعض مؤلفاته وكتاباته، منها على سبيل المثال لا الحصر كتابَي: [**قراءات في تاريخ حضرموت من خلال النصوص القرآنية**] (٢٠٠٣م)، و[**من مائدة الهدي النبوي.. خواطر ذكريات وعبر**] (٢٠٠٥م).

إن "الوجهة والمسار" التي أجاد الدكتور فارس العزاوي في استعراض فصولها، وأشبعها بحثًا ودراسة، ستظل عنوانًا للوفاء والبر من أحد أبناء الرافدين الكرام، ومن أنجب عشائرها وأنبلها.

نكرر الشكر والتقدير للمؤلف الذي بذل جهداً متميزاً في إخراج هذا الكتاب، سائلين المولى -عز وجل- أن يوفقنا إلى رد الجميل بالجميل، والوفاء بالوفاء، والعرفان بالعرفان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جامعة الأندلس – صنعاء، مارس ٢٠١٦م



رجل قضاء كما هو رجل دولة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلقد وفق الله -سبحانه وتعالى- الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور: زبن بن عزيز العسافي، في تسطير هذه الصفحات عن حياة سيدي الوالد الفاضل -رحمه الله-، فجزاه الله عنا وعن أهل العلم والعلماء وكافة المسلمين خيراً، وزاده بركة في العلم.

وتواضعًا منه، ونبل أخلاق، شرفني بمطالعة مسودة الكتاب، فقرأته قراءة متأنية، واقفًا على كل مبحث من مباحثه الثمانية، بدءاً بالمبحث الأول والمتعلق بفضل العلم والقضاء في الإسلام، ثم المبحث الثاني حول حضرموت وأهم مدنها وسبقها إلى الإسلام، مروراً بالمباحث المكرسة بالحياة الشخصية والعلمية والعملية لصاحب السيرة، وآخرها المبحث الثامن المتعلق بمجالسِهِ العلمية وثناء العلماء عليه، ثم رصده

وتوثيقه وترتيبه للمصادر والمراجع العلمية التي تجاوزت المائة والعشرين مصدراً ومرجعًا، كانت زاداً وعونًا للمؤلف في تدوين هذه السيرة.

وليس غريبًا على أستاذ متخصص في العلوم والدراسات الإسلامية، متمرس في التدريس الجامعي والتأليف، أن يقدم إلى جمهور القراء من طلبة العلم والباحثين ثمرة هذا الجهد الذي نسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناته.

ولا يسع المرء إلا أن يثني على هذا الجهد العلمي المتميز الذي بذله المؤلف -حفظه الله-، وقبل هذا وذاك أن يُقَدر ويُثَمّن له كرم خلقه ووفائه لهذا العلامة الجليل الذي يظل علمًا من أعلام الشريعة والقضاء الشرعي، بل علمًا من أعلام الفكر الإسلامي في أصوله وفروعه.

وبقدر استفادتي الكبيرة مما قرأت في هذا الكتاب، فلقد أثارت لدي الكثير من فقراته المشاعر والأحاسيس لما يمكن أن يقول ابن عن أبيه، وبشكل موجز جداً حتى لا نخلط الذاتي بالموضوعي، إنها كلمات عرفان، وعبارات امتنان، يصعب حبسها وكتمانها، وعدم التصريح بها

في مثل هكذا موقف، ولا أظن المؤلف -حفظه الله- أن يبخل علينا بتسطيرها في هذا المقام.

فالوالد -رحمه الله- كان أبًا عطوفًا، رحيمًا حنونًا، ومربيًا فاضلاً، وهو رجل قضاء كما هو رجل دولة، وعالم جليل وفقيه متميز، شهد له بذلك رجال علم أفاضل، ومرجعيات ومؤسسات علم معروفة، ونعتقد جازمين بأن لشخصية والده -رحمة الله عليه- الأثر الطيب الكبير في حياته العلمية والعملية، فلقد كان ذلك الرجل قامة علمية وتربوية، تركت بصماتها المباركة على الأبناء والأحفاد، بل وعلى كثير ممن استظلوا بدوحة علمه، وارتووا من ينبوع أدبه.

كما درس الوالد -رحمه الله- هذه العلوم، واكتسب هذه المعارف، وتبحر فيها، من خلال قراءاته الخاصة المستمرة والدؤوبة؛ إذ لم نره يومًا إلا والكتاب في يده، صديقه وجليسه وأنيسه، يقرأ ويتدبر كثيراً ما يقرأ، تارة بمفرده، وتارة في مجموعة من زملائه من رجال الفقه والشريعة والقضاء ورجال الدولة، وكثيراً ما نظم حلقات علمية في منزلنا بمدينة المكلا، وأحيانا كثيرة كنا نراه يتدارس كتابًا من كتب الفقه والشريعة

الإسلامية والقضاء مطبوعـًا أو مخطوطـًا مع أحد زملائه من رجال القضـاء والفقه، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: السيد: شيخ بن الشيخ أبـو بكـر، والسيد: محمد رشاد البيتي -عليهم جميعـًا رحمة الله ورضوانه-.

ولـم تكن قراءات الوالد -عليه رحمة الله- تقتصر علـى علـوم التخصـص الفقهي والقضاء الشرعي فحسب، بل تمتد لتشمل شتى حقول المعرفة الإنسانية، من فكر فلسفي، قديمهُ وحديثـه، عربيـًا إسـلاميًا أو أجنبيـًا، وكذا في علوم الاقتصاد والسياسة وعلـم الاجتماع وغيرها.

لقد كان الوالد -رحمه الله- قارئـًا موسوعيًا بكـل مـا تعنيـه الكلمـة من معنى، ذكيـًا فطنـًا، مكنته هذه القراءات في العلوم المختلفة من توسيع آفاقه ومداركه الفكرية والثقافية، تجاوز من خلالها النظرة الضيقة والأفـق المحدود للكثير من بني عصـره، فكـان بحـق عالمـًا وعلمـًا مـن أعـلام جيله وعصره، ومرجعـًا من مراجعه العلمية.

ولقد كان الوالد -رحمه الله- نعم المربي، ونعم المعلم، الذي فـتح أمـامي آفاقـًا في قـراءة الفكـر العربـي الإسـلامي، وسـعت مـداركي، وصقلت مواهبي في القراءة والاطلاع، وحصـنت الـوعي الفكـري لـدي

أمام ما كنا نقرأه ولا زلنا نقرأه في مجالات الأدب الأجنبي، والفكر والثقافة الأجنبية، بحكم التخصص العلمي الذي اتجهت إليه، فصرت وأنا أقرأ وأبحث في آداب اللغة الإنجليزية، وبالتالي في الأدب الأوروبي والفكر والثقافة الأوروبيتين مشدوداً تلقائيا إلى العودة إلى منابع اللغة العربية وآدابها، ومنابع الثقافة والفكر العربي الإسلامي، أفادني هذا التوجه في دراساتي وأبحاثي الأكاديمية المتقدمة.

كما كان الوالد -رحمه الله- معلمًا مباشراً لي في دراسة اللغة العربية وقواعد النحو، وشيئًا يسيراً جداً من علوم الفقه، وعلوم القرآن الكريم، والسيرة النبوية الشريفة، من خلال بعض الدروس المباشرة بين صلاتي المغرب والعشاء، وذلك أثناء مرحلة الدراسة المتوسطة، ولم تقتصر الفائدة هنا على التحصيل العلمي فقط، ولكن في أسلوبه التربوي والتعليمي، الذي استفدت منه الكثير في مستقبل أيامي.

فالوالد -رحمه الله- كان بالفعل مدرسة في التربية والتعليم، من خلال الأفعال قبل الأقوال، ومن خلال التطبيق قبل التنظير، ورث جزءاً كبيراً من والده -رحمة الله عليه-.

ولقد كانت مرافقتي له في ثلاث رحلات تفتيشية قضائية للمحاكم الشرعية للسلطنة القعيطية في ساحل حضرموت وداخلها بمثابة دورات تربوية وتعليمية، اكتسبت منها ما لا يمكن اكتسابه من خلال الدروس النظرية في المدرسة، وإن كنت حينها صبياً في مقاعد الدراسة المتوسطة.

فكانت إحدى تلك الرحلات إلى: ألوية السلطنة القعيطية في كل من لواء دوعن ولواء شبام، وأخرى في اللواء الغربي ومركزه مدينة حوره، استغرقت هذه الرحلة بين ثلاثة أو أربعة أسابيع إذا لم تخني الذاكرة.

أما الرحلة التفتيشية الثانية فكانت في لواء حجر، حيث زار عدداً من بلدات ذلك الوادي، الذي توجد بها محاكم شرعية ابتدائية، منطلقين من مركز اللواء جول باحاوي.

والرحلة الثالثة شملت معظم مدن وبلدات لواء الشحر، بدءاً من مدينة الشحر نفسها مركز اللواء، ثم مدينة الحامي، وبعدها مدينة الديس الشرقية، حتى مدينة قصيعر، ولربما كانت الرحلة مخطط لها الوصول إلى مدينة ريدة عبدالودود، ولكننا لم نصلها.

في هذه الرحلات الثلاث ومع مرور السنين تكونت لدي صورة لشخصية الوالد -رحمه الله-، بأنه لم يكن مجرد قاضٍ شرعيٍ فقط، ولكنه رجل دولة من طراز خاص، وذلك من خلال علاقاته برجال الدولة والمجتمع في كل ألوية السلطنة القعيطية من بدو وحضر، فهو يمتلك عقلية إصلاحية، وعلاقات طيبة ومتميزة مع كل -أو معظم- رؤساء (مقادمة) القبائل الحضرمية، وأعيان المجتمع، مكنته من حل الكثير من القضايا المختلف عليها فيما بينهم، أو فيما بين بعضهم والدولة.

وكانت الخلفية الشرعية والقانونية والمعرفة بتقاليد وأعراف القبائل والحصافة والحكمة التي يتمتع بها من العوامل المهمة في وسائل التحكيم وحل الخلافات.

ولقد كنت في معيته في أكثر من موقف للمصالحة وحل الخلاف، أثبتت أن الوالد -رحمه الله- يتمتع بشخصية القاضي المتمرس والمتمكن من القضاء، وكذا شخصية رجل الدولة القادر على إدارة الحوار والوصول إلى النتائج التي تخدم الوطن والمواطن.

وإذا كنت قد تعلمت من الوالد -عليه رحمة الله- في ظروف اليسر، فقد تعلمت منه الكثير أيضا في ظروف العسر، عندما كان يتنقل بين المعتقلات والسجون، بعد العام: (١٩٦٧م)، فقد كانت أول زيارة لي في معتقله مع بقية زملائه في وادي حجر، حيث التقيته مرتين في ذلك اليوم، وقبل عودتنا إلى مدينة المكلا، ثم تكررت الزيارات أثناء اعتقاله في سجن المنورة، ثم في معتقله بالرزميت، وفي كل هذه الزيارات كنت أتعلم منه الشيء الكثير في الصبر والاحتساب والتوكل على الله ومواجهة الشدائد، وفي كل مرة تتضح أمامي مزايا جديدة في شخصيته ما كان لي أن أكتشفها لولا هذه الأيام العجاف، والحديث في مثل هذه القضايا وتفاصيلها يطول ويطول، لا يتسع هذا المقام لسردها.

ولقد سعدت كما سعد كل أبناء الوالد وأحفاده بما تفضل به المؤلف القدير الجدير باحترامنا وتقديرنا على هذا الجهد العلمي المبذول، الذي تكرم به في تسجيل أجزاء مهمة من سيرة الوالد -رحمه الله-، وتتبع محطات متميزة ومعينة في حياته العلمية والعملية، وكلها -ولله الحمد والمنة- محطات تميز وتألق، يفتخر بها أبناؤه وأحفاده وتلاميذه

ومريدوه من طلبه العلم، فلله در المؤلف من باحث حصيف .. ولله دره من وفي كريم، يقدم للعلم ولطلبة العلم واحداً من أعلامه السامقة، ونتطلع إلى اليوم الذي نجد المكتبات عامرة بالدراسات والبحوث التي يقدمها الباحثون وطلبة الدراسات العليا في الجامعات عن رموز العلم والمعرفة، والتي بدأت بوادر البعض منها تظهر تباعًا.

وفق الله الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور: زبن بن عزيز العسافي، في جهوده العلمية، محاضراً ومؤلفًا، وسدد خطاه لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

صنعاء، ٣ / ٣ / ٢٠١٧م



السنون العجاف: إبتلاء و صبر و احتساب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحابته الغر الميامين.

أما بعد: فإن الحديث عن محنة الوالد -رحمه الله- ومعاناته جراء الاعتقالات والمضايقات التي تعرض لها بعد استلام الجبهة القومية لمقدرات الأمور السلطوية في حضرموت يطول ويتشعب.. ولكننا في هذه العجالة سنكتفي ببعض ما تفيض به الذاكرة.

بعد سقوط المكلا في السابع عشر من سبتمبر، عام: (١٩٦٧م) في يد تنظيم الجبهة القومية، وتشكيل اللجنة الشعبية العليا لإدارة مقاليد السلطة في حضرموت ساحلاً وداخلاً، استمر الوالد -رحمه الله- في أداء مهامه الوظيفية كمستشار قضائي في مقر سكرتارية الدولة حتى يوم اعتقاله أواخر شهر أكتوبر من نفس العام. ولم يكن هاجس التعرض

لشخصه من قبل النظام الجديد وارد في ذهنه على الإطلاق؛ لقناعته بأنه غير مستهدف، كونه ليست له علاقة بأي تنظيم سياسي أو غير سياسي، ولا بأي من الرموز القيادية لهذه التنظيمات. وهو موظف في المؤسسة القضائية كغيره من القضاة ومن موظفي مؤسسات الدولة الأخرى. غير أنه لفطنته ولبعد نظره المشهود له بها لم يسقط فكرة التعرض لشخصه ولو بدافع الحقد الشخصي من بعض رموز النظام الجديد. ولربما استشعرت ذلك من تلميح الوالد -رحمه الله- لي بتأجيل فكرة الذهاب إلى بلدة القارة والبقاء في المكلا لبضعة أيام أخرى. هذه الإيماءة لم أفطن لها إلَّا بعد عملية المداهمة والاعتقال.

وفي ليلة المداهمة والاعتقال عشنا ساعات مؤلمة مظلمة؛ إذ اقتحم عدد من أفراد ميليشيا الجبهة القومية منزلنا الكائن في حارة البلاد (حي الشهيد بن هامل حاليًا) في ساعة متأخرة من الليل، يتقدمهم المدعو الحاج: صالح باقيس، وشخص آخر لا أذكر من اسمه سوى لقبه فقط (الحباني). أما من الأفراد الذين معهما فلا أذكر إلَّا اسم شخص واحد من أبناء مدينة المكلا يدعى صلاح مرسال إذا لم تخني الذاكرة. وهو

الذي دفعني من أمامه بقوة وخشونة أثناء صعودهم الدرج في محاولة لإفساح الطريق أمامهم للوصول إلى الطابق الأعلى.

لقد كان أسلوبهم في اقتحام المنزل لا يمت إلى الخلق الإنساني بصلة. وبغض النظر عن كل شيء.. وبغض النظر عن كل اتهام قد يوجه للوالد فقد كان الأجدر بهم أن يكونوا بمستوى لائق من التعامل الإنساني. ولربما كانت معاملة الحاج: صالح باقيس -رحمه الله- أقرب إلى اللباقة والاحترام للوالد من مرافقيه، وقد عاث أولئك النفر تخريبًا وتدميراً في المنزل بحثًا عن المجهول. فتشوا غرف المنزل غرفة غرفة وشبراً شبراً، وكسروا أبواب الدواليب على الرغم من وجود المفاتيح عليها، وأخذوا ما يمكنهم أخذه، ونحن واجمون نتفرج لا يمكننا عمل شيء، غير أنهم لم يعثروا على أي وثيقة أو أي مستمسك آخر يدين الوالد بأي تهمة معينة يحاولون إلصاقها به. وأثناء عملية التفتيش أو قل العبث الذي مارسوه كان الوالد جالسًا في مكانه هادئًا مطمئنًا واثقًا من أنهم لن يحصلوا على شيء يدينه؛ لأنه بالفعل ليس هناك شيء مما هو في أذهانهم. غير أن هذا الاطمئنان وحالة الثقة بالنفس لم تستطع أن تخفي ملامح الغيظ والاستياء مما يراه من سلوك تدميري عبثي أثناء عملية التفتيش.

ومن الطرف أن أحدهم وجد مصباحًا كهربائيًا غريبًا نسبيًا عن المصابيح التقليدية المعروفة.. فاعتقد أنه قد اكتشف سلاحًا أو جهازاً متطوراً، فلما عرضه على مسؤوله لم يعبه به، ولم يلتفت إليه.

وكان في إحدى غرف المنزل خارطة للوطن العربي مبروزة لفتت انتباه الحاج: صالح باقيس، فطلب مني أثناء مغادرتهم المنزل إحضارها في اليوم التالي إلى مقر اللجنة الشعبية العليا؛ إلا أنني تجاهلت ذلك الطلب؛ لعدم أهميته.

وبعد أن استكملوا ما اعتبروه تفتيشًا وما اعتبرناه تخريبًا وتدميراً طلبوا من الوالد مرافقتهم من دون أن يعطوه فرصة الحديث معنا ولو ببضع كلمات التوديع، مخلفين وراءهم حالة من الرعب والخوف بين أفراد الأسرة والأطفال، ولم نكن نعرف إلى أين.. ولم يكن لنا الحق في أن نعرف، ولربما أخذوا مع خروجهم بعض الأوراق، ولكنها لم تكن ذات بال، ولا تمت إلى ما كانوا يسعون للحصول عليه من إدانة أو تهمة بصلة. إذ لم تكن للوالد –رحمه الله– علاقة بطرف سياسي أو غيره كما كانوا يتوهمون. ولهذا لم توجه له خلال كل فترة سنوات اعتقاله وأيامه

العجاف تهمة.. أي تهمة، وانتهت به رحلة المتاعب والمعاناة النفسية إلى انتصار في آخر الأمر، رافعًا رأسه عاليًا شامخًا أثلج بذلك صدر والديه أولاً وصدور كل أفراد عائلته وكل محبيه، بل أن هناك ممن لهم ضلع في معاناته أبدوا له التقدير والاحترام وإن كان متأخراً إلَّا أنه مقبول.

ولقد ظلت تلك الليلة برعبها كابوسًا جاثمًا على صدورنا لا يفارقنا.. وظلت معاناة الوالد –رحمه الله– خلال كل سنوات الاعتقال كابوسًا آخر يقض مضاجعنا.

وفي صبيحة اليوم التالي لمداهمة المنزل واعتقال الوالد ذهبت إلى منزل جدي –عليه رحمة الله– وأبلغته بما حدث، ولا أدري إن كان قد بلغه خبر المداهمة والاعتقال أم لا .. إذ كانت ردة فعله هادئة، مستقبلاً الخبر بنفس مطمئنة وبرباطة جأش هي صفة من صفاته. وإذا لم يكن قد بلغه الخبر فلربما كان يتوقع حدوثه بهذه الطريقة أو بأية طريقة أخرى. ثم إن الإنسان المؤمن إيمانًا صادقًا بقضاء الله وقدره لا يمكن إلا أن يكون كذلك رابط الجأش قوي الإيمان.. ناهيك أن عليه أن يتصرف ذلك التصرف أمام أبنائه وذويه.

استأذنته في الخروج واتجهت بعدها إلى مقر ما كان يسمى باللجنة الشعبية العليا؛ للاستفسار عن مصير الوالد إلَّا أنني لم أجد مجيبًا.

واستمرت اتصالاتنا ببعض المسؤولين علَّنا نعرف شيئًا عن مصير الوالد بعد أن علمنا أن هناك معتقلون آخرون منهم النائب: بدر بن أحمد الكسادي، واللواء: صالح يسلم بن سميدع، والأستاذ: محمد عبدالقادر بامطرف، والنائب: عليّ العماري، وآخرون غيرهم.

وبعد أيام قلائل من مداهمة المنزل تعرض المنزل إلى مداهمة أخرى ليلاً، ولم يكن هناك أحد في المنزل، حيث اضطررنا حينها للانتقال إلى منزل جدي –رحمه الله–، وعلمنا فجر اليوم التالي بذلك، فما كان مني إلا أن ذهبت إلى المنزل لأكتشف خرابًا ودماراً وعبثًا آخر، كل ذلك حصل في غيابنا ولا نعرف الهدف من هذه الزيارة الليلية، كما لا نعرف ماذا أخذوا معهم، ولا من هو قائد المجموعة في هذه الليلة؟! بل ولا نعرف كيف تمكنوا من دخول المنزل، وربما كان ذلك من خلال تحطيم إحدى النوافذ كما يبدو لي.

وكنت حينها قد عينت بسلك التدريس بعد عـودتي مـن الدراسـة في ليبيا. وكان مقرراً أن أذهب إلى بلدة قَسَمْ للتدريس هناك. غير أن ظرف الاعتقال قد اضطرني إلى تقديم مذكرة إلى مدير التربية طالبـًا منه البقـاء في مدينة المكلا لمتابعة ظروف الوالد وعلى مقربة مـن الأسـرة. فبقيـت خلال عامين دراسيين أتنقل مدرسـًا ما بين مدرسة جيل الثورة ومدرسة مدرم ومدرسة الشهيد بن هامل.

وبعد جهد جهيد علمنا أن: صالح منصر السييلي –رحمه الله– يقوم بمهام المسؤول الأمني في مدينة المكلا، وربما من خلاله نجـد ضـالتنا، وبالفعل جرت الاتصالات به، وعلمنا أن المعتقلين قـد نقلـوا إلـى لـواء حجر على سطح سيارة شحن، كما علمت لاحقـًا من الوالد –رحمـه الله– إمعانـًا فيمـا يعتقـدون أنـه إذلال ومهانـة لهـذه الشخصـيات التـي كانـت رموزاً في مؤسسات النظام السابق.

بعدها بفترة قصيرة نظمت لنا زيارة إلى (جول باحـاوي) مركـز اللـواء، واستأجر ذوي المعتقلين سيارات للسفر إلى هنـاك. وكـان بمعيتنـا: صـالح منصر السييلي، وآخر يدعى على ما أظن (باقطيان) لا أذكر اسمه الأول.

ومما تجدر الإشارة إليه أن خبر نقل الوالد إلى لـواء حجـر يفتـرض أن لا تطلع عليه والدته -رحمة الله عليها- حفاظًا على صحتها النفسية والجسدية، إلَّا أنها علمت بـذلك عـن طريـق الصـدفة، فحزنـت لـذلك حزنـًا شديداً أضاف همـًا إلى همومنا وضغطـًا نفسيـًا إلى ما كنا نعانيه.

تحركنا من المكلا عصراً لنصل إلى (جول باحاوى) في ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم، حيـث بتنـا ليلتنـا. وفي الصـباح أبلغنـا بزيـارة ذوينـا المعتقلين. فكان معهم لقاءين، أحدهما في الصباح، والآخـر بعـد ظهـر ذلك اليوم، وقبل تحركنا عائدين إلى مدينة المكلا. وخلال هذين اللقـاءين كانت المشاعر جياشة لـم تترك للكلمات مجالاً، إلَّا في أضيق الحـدود. كما أن الجـو العـام كـان يخـيم عليـه القلـق والاضـطراب والترقـب لمـا تخبئه الأيام القادمة.

وظل الوالد وزملاؤه المعتقلين في لواء حجر فتـرة مـن الـزمن لا نـدري عن أوضاعهم المأساوية شيئـًا، خاصة وأن الأوضاع الأمنيـة حينهـا متوترة وغير مستقرة، والعلاقات داخل تنظيم الجبهة القومية يشوبها التحسـب والترقب فيما بين أفراد التنظيم أنفسهم؛ بسبب اختلاف وجهات النظـر والاجتهادات والسلوكيات المتطرفة للبعض.

بعدها نقل الوالد وزملاؤه إلى سجن المنورة بالمكلا، وإن كان ذلك قد خفف الضغط النفسي نسبيًا لدى ذوي المعتقلين، وربما لدى المعتقلين أنفسهم، إلَّا أن حالة القلق والترقب والخوف من المجهول ظلت جاثمة، خاصة وأن النظام الجديد لم يتخذ أي إجراءات بحقهم.. فلا تحقيق ولا تهم موجهة، بل مزيداً من الغموض نحو مستقبل مجهول. وكانت حادثة تنفيذ حكم الإعدام بحق شخص يدعى (الخرخوري) مثار هلع ورعب لمواطني المكلا وللمعتقلين. فلم نكن نعرف من هو (الخرخوري) ولا يعرف أحد التهمة الموجهة له ولا طبيعة الجرم الذي يستحق عليه عقوبة الإعدام. سرت إشاعة بين الناس أن عملية الإعدام ما هي إلا وسيلة من وسائل رموز النظام في تخويف المواطنين وترويعهم وكل من تسول له نفسه مقاومتهم أو انتقادهم. بل كان هناك من يشيع أن قصة (الخرخوري) مختلقة أو مفتعلة من الأساس لإرهاب الموطنين الآمنين المسالمين في مدينة المكلا. ولم يكن هذا الموضوع مثار اهتمامنا، فلم نكن نجرأ على البحث فيه والتأكد من صحة القصة ولا من هو (الخرخوري)، وحتى ساعة كتابة هذه الأسطر لم أعرف أنا شخصيًا شيئًا عنه ولا عن "بطلها".

وبعد ما يقارب تسعة أشهر من الاعتقال والمعاناة والاتصالات المستمرة بشخصيات من قيادات الجبهة القومية في المكلا وعدن بهدف إطلاق سراح الوالد والتخفيف من معاناته ومعاناة أفراد أسرته وبالذات والديه، خاصة وأنه لم يستدع مطلقاً للتحقيق في أي تهمة.. بعد هذا كله تم الإفراج عن الوالد وعن زملائه الآخرين، وكان ذلك في الحادي عشر من يوليو (١٩٦٨م).

وأثناء فترة الاعتقال في سجن المنورة كنا نذهب لزيارة الوالد.. وكانت الأحاديث تدور حول صحته وصحة أفراد العائلة ونادراً جداً ما يتم التطرق لمواضيع أخرى عامة. كما أن الوالد لم يحاول -وربما كان يتجنب- خلال هذه الزيارات إفادتنا بأي شيء عن أحوال المعتقل.

غير أن فترة الإفراج لم تدم طويلاً، حيث أعيد إلى المعتقل بعد ثلاثة أسابيع فقط، وذلك في الثلاثين من يوليو من نفس العام. ففي صباح ذلك اليوم قدم إلى منزلنا بالمكلا مراسل من قبل محافظ المحافظة يبلغ الوالد بالحضور إلى مكتب المحافظ. وقد استشعر الوالد الموقف وأبلغنا بأن هذا الاستدعاء ما هو إلا مقدمة للاعتقال مرة أخرى. فهيأ نفسه لذلك

وتهيأنا معه لذلك. وبالفعل كنت مع الوالد في دار المحافظة عندما أُبلغ وأُبلغ زملاؤه الآخرون بأنهم قيد الاعتقال منذ الساعة، وأنهم سينقلون على الفور إلى سجن المنورة. وعلى الرغم من صعوبة الموقف إلَّا أن الروح المعنوية العالية لدى الوالد هي التي تكسبنا دائماً نوعاً من الصبر والتحمل.

وأعتقد أن هذا التخبط في قرارات الاعتقال والإفراج ثم الاعتقال مرة أخرى خلال طيلة فترات الاعتقالات والإفراجات مرتبطة بظروف الوضع الداخلي لتنظيم الجبهة القومية والتيارات المتصارعة فيه منذ استلام السلطة.

وظل الوالد يكابد ظروف الاعتقال من زنزانة إلى أخرى خلال أكثر من عام كامل حتى قيام ما سُمي حينها بالخطوة التصحيحية في الثاني والعشرين من يونيو (١٩٦٩م). حيث تمت الإطاحة بالرئيس: قحطان محمد الشعبي أول رئيس لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وتنصيب: سالم ربيع علي رئيساً للجمهورية. في هذه الأثناء أطلعني أحد موظفي دار المحافظة -رحمه الله- على مذكرة الاعتقال السابقة، والتي تم

بموجبها اعتقال الوالد في الثلاثين من يوليو (١٩٦٨م)، واتضح أن الوالد لم يكن اسمه مدرجًا في تلك المذكرة.

وفي زيارتي الدورية الأسبوعية للوالد في سجن المنورة أبلغته بحقيقة الأمر، فما كان منه في الزيارة التالية إلّا أن أعطاني قصاصة ورق عبارة عن مسودة برقية طلب مني إرسالها باسمي إلى الرئيس الجديد، قائد الخطوة التصحيحية: سالم ربيع علي، لا زلت أذكر فقرة منها تفيد بما معناه: إذا كنا نعيش أجواء تصحيحية فصححوا الخطأ وأطلقوا سراح الوالد الذي لم يكن اسمه متضمنا في مذكرة الاعتقال السابقة.

وبالفعل أعدت كتابة البرقية بخط يدي في اليوم التالي، وتحت اسمي وتوقيعي، وقصدت مكتب البريد لإرسالها. غير أني فوجئت بعد ظهر ذلك اليوم استدعائي إلى دار المحافظة لمقابلة المحافظ الذي كان حينها الأخ: محمد سعيد يافعي -رحمه الله-، كما أبلغت أيضًا بأن البرقية لم ترسل.

وفي عصر ذلك اليوم توجهت برفقة الأخ محمد محفوظ باحشوان -رحمه الله- الذي أبلغني بالحضور إلى مكتب المحافظ، وفي الطريق

أوصاني بالتزام الهدوء أمام المحافظ حتى وإن صدرت عنه بعض الغلظة، فهو رجل يحمل قلباً طيباً.

تمت المقابلة وتصرفت على ضوء تلك النصيحة التي كانت في محلها، واعتبرت ما قاله المحافظ يأتي في إطار الأب لابنه، وأبلغني في نهاية المقابلة بأن البرقية لم ترسل ولن ترسل. واستمرت معاناة الاعتقال مع استمرار تداعيات الوضع السياسي داخل تنظيم الجبهة القومية.. ومعها استمرت معاناة الأسرة. وفي خضم كل ذلك الصراع الداخلي وانعكاساته وتداعياته عُيّن الأخ: فيصل العطاس (النعيري) -الذي عانى هو الآخر وطأة الاعتقال- محافظاً للمحافظة. واستمرت المطالبة بإطلاق سراح الوالد مع إطلاق سراح بقية زملائه المعتقلين من قبل ذويهم. وفي أثناء ذلك علمنا بأن هناك قراراً سيصدر بإطلاق سراح المعتقلين لم يحدد موعد تنفيذه.

وهنا لن ننسى للأخ النعيري -رحمه الله- موقفه النبيل؛ إذ أبلغنا بأنه سينقل الوالد بنفسه وبسيارته من السجن إلى منزل جدي -عليه رحمة الله-، وبالفعل تم ذلك، ولم نعرف في ذلك اليوم إلا أن الوالد قد أفرج عنه،

وأنه موجود بمنزل والده. وهذه التفاتة طيبة تنم عن تقدير واحترام تصدر عن الأخ النعيري أراد أن يعبر فيها عن مشاعر ود واحترام.

واستمرت رحلة الاعتقالات.. واستمرت معها المعاناة والآلام، وكنت بعد الإفراج عن الوالد -رحمه الله- واستقرار وضعه النفسي نسبيًا أتهيأ للسفر إلى الخارج بعد حصولي على منحة لدراسة البكالوريوس في جامعة بغداد. وبالفعل تهيأت الظروف المناسبة للسفر، وغادرت المكلا في سبتمبر من عام: (١٩٧٠م). وفي صيف عام: (١٩٧٢م) عدت لزيارة الأهل، وفوجئت في الساعات الأولى لوصولي بأن الوالد قد تم اعتقاله مرة أخرى، وكان حينها علي سالم البيض هو المحافظ الجديد لمحافظة حضرموت في أجواء الصراع المحتدم داخل تنظيم الجبهة القومية، حيث تم استبعاده كما يبدو من محيط مركز القرار السياسي في عدن، بسبب كثرة مشاغباته ومواقفه المرتجلة وعدم انضباطه التنظيمي كما يقال والله أعلم.

ذهبت صبيحة اليوم التالي إلى دار المحافظة متعشمًا مقابلة المحافظ، ومؤملاً أن يسمح لي بزيارة الوالد بشكل استثنائي، حيث كانت زيارة

المعتقلين ممنوعة حينها، وكون أيامي في حضرموت محدودة. وصلت إلى مكتب المحافظ: علي سالم البيض، وطلبت من القائم على حراسته أن يأذن لي بالمقابلة، إلا أنه أبلغني وبأسلوب مؤدب بأن ليس معي موعد مسبق، ومع ذلك يمكنني الانتظار حتى نهاية الدوام لعلي أحظى بالمقابلة.

انتظرت طيلة ذلك اليوم حتى نهاية الدوام وانتهاء المراجعين، حيث سمح لي الحارس بالدخول. ولما دخلت على المحافظ وسلمت عليه لم يمهلني إكمال السلام والتحية، بل بادرني بوابل من الأسئلة والاتهامات التي لم يكن لها ما يبررها في تلك اللحظات وفي ذلك الموقف، وما كان يليق به هذا التصرف وهو في موقع المسؤولية أمام مواطن عادي لا ذنب له سوى أنه يحاول أن يحظى بإذن لزيارة والده المسجون.

أبلغته بأنني قادم من بغداد لزيارة الأهل في الإجازة الصيفية وعلمت باعتقال الوالد، وأن لا مجال لزيارة المعتقلين، فأرجو السماح لي بذلك وبصورة استثنائية، فعاد مجدداً إلى رفع الصوت والصراخ بجمل وعبارات جارحة، وخلصت من المقابلة بأنني في موضع اتهام للدفاع عن المعتقلين؟ وأن لا مجال للزيارة.

عدت بعدها أدراجي إلى المنزل؛ غير أنني لم أفقد الأمل في إيجاد طريقة ما لزيارة الوالد قبل انقضاء إجازتي، وشاء الله تعالى أن ألتقي صدفة بآمر السجن حينها (سالم باعامر)، رجل يمتلك من قيم الخير والفضيلة ومن المشاعر الإنسانية الشيء الكثير، وبعد عرض الموضوع عليه وما تعرضت له من قبل المحافظ أبلغني بأن الوالد مقرر له دخول المستشفى خلال الأيام القليلة القادمة؛ لإجراء فحوصات طبية اعتيادية، وبالإمكان زيارته في المستشفى، ولا أدري إن كان ذلك حقيقة أم أنه قد أدرك طبيعة الموقف فحاول أن يجد صيغة أتمكن منها من مقابلة الوالد.

تم التنسيق بيننا على هذا الأمر، واستطعت زيارة الوالد في المستشفى، وكانت صحته في العموم جيدة، ومكثت عنده ساعات، وكانت هذه الزيارة هي الوحيدة التي قابلت فيها الوالد خلال إجازتي الصيفية، فلله الحمد والمنة أن هيأ لنا في ظروف الكرب والمحنة رجال يتمتعون بفضيلة الخير ومشاعر الإنسانية، وهذه هي صورة مغايرة تماماً للموقف العدائي الذي واجهته من قبل محافظ المحافظة.

لقد عانى الوالد -رحمه الله- ويلات الاعتقال المتكرر من دون أن توجه له أي تهمة، ومن دون أن يستدعى إلى التحقيق، ووجدتها ذات مرة فرصة عندما زار المكلا الأخ: عبدالباري قاسم -رحمة الله عليه-، وكان أحد الرموز القيادية في تنظيم الجبهة القومية في عدن، وتلمست طريقاً لزيارته أثناء إقامته في القصر السلطاني (قصر ١٤ أكتوبر كما أطلقوا عليه حينها)، وبالفعل تم اللقاء معه، ولم تكن لي به معرفة مسبقة كما كانت المعرفة بالأخ: علي سالم البيض. وقد استقبلني الرجل بكل ترحاب وبنوع من الاحترام مشوباً بالكثير من التحفظ، وشرحت له ظروف الوالد وما يتعرض له من المعاناة جراء تصرفات نجهل دوافعها، واعتقالات متكررة لم توجه له فيها أي تهمة، ولم يتم التحقيق معه. فأجاب أن هذا الاعتقال يأتي ضمن الاعتقال التحوطي أو التحفظي. وعلى الرغم من أن هذه المقابلة لم تأت بجديد، فإن الجديد فيها حسن الاستقبال والمعاملة، ولأول مرة أجد من يقدم لنا إجابة في موضوع اعتقال الوالد حتى وإن لم تكن شافية؛ إلا أنها إجابة لم نكن نجدها من الآخرين طوال فترة رحلة الاعتقالات المأساوية.

وإذا كانت هذه السطور لا تقدم حقيقة الصورة المأساوية التي كان الوالد يعانيها، وإنما هي ذكريات مني لما كنا نتابعه خارج السجون والمعتقلات، فإنني أختتمها بالملاحظات التالية:

١ - أن الوالد -رحمه الله- لم يكن يشتكي لنا، سواء كان أثناء الزيارات الدورية له في السجن أو أثناء فترات إطلاق سراحه، عما كان يواجهه في السجن من أذى نفسي أو اعتلالات في صحته الجسدية. فقد كان يبث شكواه إلى الله تعالى، متكلاً عليه، محتسباً إليه. ورغم رقة مشاعره وعواطفه إلا أنه كان صابراً محتسباً لا تظهر عليه علامات الحزن أو الخوف من القادم المجهول، خاصة وأنه يرى بأم عينيه ما يتعرض له من معه في سجن المنورة أو السجن الكبير الوطن بأكمله، بل إنه غالباً -كما أخبرني ذات مرة وهو نزيل بالسجن- ما كان يسري على الشباب المعتقلين من أفراد الجبهة القومية أنفسهم، ويقوي عزائمهم، ويهدئ من روعهم، ويحل قضاياهم وكلما واجهتهم مشاكل داخل السجن. وقد ذكر لي اسم أحدهم هو عبدالرحيم غوث باوزير، الذي كانت تربطني به علاقة زمالة دراسة والذي عين في فترة

من فترات النظام الجديد مديراً للتربية والتعليم في حضرموت.
ومن الجدير ذكره هنا: أنني في مقابلة معه بمكتب التربية والتعليم، وبحكم العلاقة الطيبة السابقة بيننا، وجدت من المفيد: أن أطلعه على بعض سلبيات العملية التربوية والتدريسية في مدارس المكلا على الأقل. وللأسف كان رده لي عنيفًا يعكس نوعية العقلية الجديدة وروحية القسوة والعنف التي كانت تسود الأجواء حينذاك. أما ظاهرة دخول أفواج من هؤلاء الشباب من وقت لآخر مرتبطة بظروف الصراعات والانشقاقات داخل تنظيم الجبهة القومية.

٢- لقد عكست معاناة الوالد ومحنته نفسها على كل أفراد الأسرة وفي مقدمتهم والده المسن الذي كنت أرى الحزن والأسى على وجهه في كل يوم، بل وفي كل ساعة أقابله فيها.

٣- استطاع الوالد بقوة إيمانه وحكمته وصبره أن يجعل من الزنزانة رباط علم، فكنا نزوده من حين لآخر بالكتب التي يطلبها، وكان من ثمار ذلك مسودة كتاب: [**من مائدة الهدي النبوي**]، الذي استكمل بعض نصوصه وهوامشه في سنوات لاحقة، وصدر في هيئته الحالية عام: ٢٠٠٥م.

٤- كان الوالد مقتنعـًا جداً بأن حملة الاعتقالات التي تعرض لها لـم تكـن دوافعها غير أحقاد وضغائن شخصية؛ إذ لم تكن له مواقف سياسية محددة ضد النظام الجديد، ولـم تكن له مواقـف عدائيـة تجـاه أحـد. تهمتـه الوحيـدة وطنيتـه المسـتقلة، ونزاهتـه ونجاحـه علـى مسـتوى الفكر والثقافة وعلى مستوى الأداء الوظيفي، وحسن علاقته برمـوز مجتمعه ومواطنيه.

هذه بعـض الـذكريات والخـواطر التـي أحببـت أن أسـطرها في هـذه العجالـة؛ حاولـت جهـدي أن أكـون بعيـداً عـن الذاتيـة، قريبـًا إلـى الموضوعية، وربما تكون هذه السطور نواة لمشروع أكبر.

أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، هـو مولانـا فـنعم المولى ونعم النصير.

صنعاء: ١٢ رمضان عام: ١٤٣٨هـ

٧ يونيو عام: ٢٠١٧م

المحتويات

